

الفصل الثاني

اذاعة حقائق عن الكتاب المقدس

١ - اسفار الشريعة الخمسة

(التوراة)

[تؤلف الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس مجموعة كان اليهود يسمونها الشريعة أو التوراة . وقد اتخذت باليونانية اسم بانثاتيكوس (أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة) ..

لقد كان اليهود ، أقله فى بدء التاريخ المسيحى ، يسندون الى موسى تأليف هذه المجموعة الواسعة ، وقد جاراهم المسيح ورسله فى هذا الاصطلاح ..

ما من عالم كاثوليكي فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانثاتيك منذ قصة الخلق الى قصة موته . كما انه لا يكفى أن يقال أن موسى اشرف على وضع النص الملهم الذى دونه كتبه عديدون فى غضون أربعين سنة [.



٢ - سفر التكوين

[لسنا هنا فى صدد تاريخ مكتوب على وثائق كتاريخ داود مثلا . فغالبا ما رويت هذه القصص شفويا قبل أن تثبت كتابة . وفى كل هذا حفظ جوهر الوقائع التاريخية بأمانة ، لكن ما جاء من حوار وتفاصيل مؤثرة بغية إعادة الحياة الى مشهد تاريخى فهذا من نوع حرية التصرف التى توجبها الرواية الشفهية] .

أن هذا اعتراف صريح بمجهودات الكتبة الاسرائيليين فى تأليف هذا السفر بعد موسى بزمان !



٣ - سفر الأحبار

(اللاويين)

[دون سفر الأحبار بشكله الحاضر دون ريب ابتداء من العودة من سبى بابل (الجيل الخامس قبل المسيح) ، كما يستدل من أوجه الشبه العديدة مع (سفر) النبی حزقيال .

يتعذر اذن أن ينسب الى موسى نفسه نصه الأخير] .

من الفروض التاريخية المقبولة أن موسى خرج ببني اسرائيل من مصر نحو عام ١٢٩٠ ق م . ، وأن ابتداء العودة من سبى بابل كان حوالى عام ٥٣٧ ق م . فمن ذلك يتبين أن سفر الأحبار هذا لم يأخذ شكله القانونى الأخير الا بعد مرور نحو ٧٥٠ عاما ، تعرض فيها لتغييرات من صنع البشر !



٤ - سفر تثنية الاشتراع

(التثنية)

هذا السفر من عمل مؤلف مجهول كتبه بعد عصر موسى ، ثم وضع الكلام على لسان موسى ، حتى يعطيه أهمية ويضمن الخضوع الاسرائيليين له ! يقول المدخل لهذا السفر :

[قد رأى مؤلف سفر تثنية الاشتراع ، كى يحفظ ايمان معاصريه ، ويحذرهم من تأثير الكنعانيين المشنوم ، أن يعتمد على تقاليد قديمة ، وعلى سلطة موسى ، ليعطى رسالته الملهمة . فكان لا بد لمشاكل جديدة من تنظيمات جديدة .

لقد وضع الكلام على لسان موسى لأنه امتداد لشريعته ، لكنه مطبق على الايام الجديدة] .



٥ - سفر يشوع

[دخل يشوع على رأس هذا الشعب أرض الميعاد ، امنيتهم القديمة ، واحتلها واسكن الاسباط داخل حدودهم الشرعية . .

ولا يمكن فى الواقع ان تشكل هذه الإقامة فى أرض كنعان فتحا سريعا وسهلا للبلاد بأسرها .

لكن المؤلف المقدس الذى نجهل اسمه وعصره ، كان يقصد دون شك ، أن يظهر هذا الفتح بمجمله كعمل عظيم يعود الفضل فيه الى العناية الالهية] .



٦ - سفر راعوث

[ان راعوث بطلة هذه الرواية ، داخلته فى اسلاف داود المجيدة ، وذلك بسبب ابنها عوبيد أبى يسى .

فما هو جوهر هذه القصة التاريخى ؟

من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان فى البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما ، ثم أضاف إليها عددا من التفاصيل ، ليجعل الرواية أكثر حياة ، ويعطيها قيمة أدبية] .

نعم . . . انها - بهذا الكلام - رواية وضعها مؤلف مجهول !



٧ - سفر أخبار الأيام

[قد يكون فى الأصل أطول مما هو عليه الآن ، بفضل أجزاء لم يحتفظ بها فى النص الحاضر .

نجد فى سفر الأخبار ذكر وثائق عديدة لم تحفظ ، ونتحقق مرارا استعمال أسفار صموئيل والملوك . ويضيف إليها المؤلف تفاصيل عديدة ، استنادا الى مصادر أخرى ، ووفقا لمقصده الخاص] .

بهذا يكون هذا السفر توليفة من بعض الأسفار والمصادر الأخرى ، لكن
المثير هنا ، أن المؤلف كتبه - كبشر - وفق مقصده الخاص !

✱

٨ - سفر طوبيا

(من الأسفار المنحولة أو المحذوفة من نسخة البروتستانت)

يعتبر هذا السفر قصة خيالية من عمل مؤلف مجهول ، فهي بذلك
توليفة مجهولة المصدر . يقول التعريف بهذا السفر :

[من المتعذر عمليا أن نضع تفاصيل هذه الحكاية في نطاق تاريخي
معروف . وفي كل حال فالكاتب يقصد أن يعطينا امثولة تقوية ..
أين ومتى كتب هذا السفر ؟

لا يمكننا التفكير إلا في تاريخ قريب العهد ، قد يكون في منتصف
الجيل الرابع أو في الجيل الثالث . واغلب الظن أن كاتبه كان يعيش
خارج فلسطين .

ويرجح أن الأصل كان في اللغة الآرامية . ولا نملك نصا كاملا سوى
النص اليوناني] .

لقد كان البروتستانت على حق في حذفهم هذا السفر من نسختهم .

✱

٩ - سفر يهوديت

(من الأسفار المحذوفة من نسخة البروتستانت)

[أن سفر يهوديت مثل سفر طوبيا ، لا وجود له في التوراة العبرية ..
أن المحاصرين (اليهود) نجوا بفضل بطلة اسمها يهوديت ، تظاهرت
بالهرب من بين شعبها ، ولما بلغت اليفانا (قائد جيوش نبوكدنصر ملك
أشور) أغرته وسقته حتى أسكرته ، ثم قطعت رأسه .. هذا السفر هو
حديث التأليف ، أما صفته التاريخية فاثباتها صعب جدا . والصعوبة هنا
هي أكبر منها في سفر طوبيا .

أن اسم البطلة يهوديت يوحي بأننا إزاء شخصية رمزية . واغلب
الظن أن الرواية هي نوع من الرؤيا .

ان عمل يهوديت هذا لا ينسجم مع اخلاقنا المسيحية الرقيقة ، وقد
نفّر منه على صواب لو راينا فيه عملا واقعيا] .
واذا كان الامر كذلك ، فلماذا يبقى سفرنا مقدسا عند الكاثوليك ومن
جاراهم فى ذلك ؟ !



١٠ - سفر ايوب

[ان كاتب هذا السفر ياتى بعد ارميا ، وقد استلهمه ، وبعد حزقيال ،
وهو سابق دون شك للعهد الاغريقى .

واغلب الظن انه من ابناء الجيل الخامس] .
نحن - مرة اخرى - امام سفر مجهول المصدر والهوية !



١١ - سفر المزامير

يعترف المدخل الى هذا السفر بتشويه المترجمين للأصل العبرانى ،
كما يشكك فى حقيقة المزامير التى تنسب الى داود ، فهو يقول :

[انه من المفيد بنوع خاص ، لدرس المزامير ، ان نعود الى الأصل
العبرانى ، لان بعض المترجمين غير الماهرين ، فى صراعهم مع مهمة
شاقة ، قد شوهوا المجموعة الاسرائيلية القديمة عندما نقلوها عن نص
المزامير السبعينى .

لا مجال لنفى التقليد الذى يجعل من داود الملك صاحب المزامير
بالأفضلية ، ويادىء هذا النوع من التأليف ، وان لم يكن بوسعنا ان نحدد
اكثر من ذلك دوره فى تأليفها] .



١٢ - سفر الامثال

[يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات ، حتى المسندة الى سليمان .
ان عددا كبيرا من هذه الامثال لا صفة دينية لها البتة] .
ولماذا يبقى - اذن - كسفر مقدس ؟ !



١٣ - سفر الجامعة

[ان سفر الجامعة لهو فى الحقيقة اشد اسفار الكتاب المقدس غموضا واجدراها فى تضليل القارئ السطحى . يبتدىء الغموض بشخص المؤلف نفسه الذى يدعى فى الفصل الاول انه ابن لداود ملك اورشليم . فيبدو لنا وكان له كل حكمة سليمان وغناه المضروب بهما المثل . وكان يجب الا تغش هذه التسمية الوهمية احدا لان المؤلف يتكنى فى ذات الوقت باسم آخر هو الجامعة .

وفى نهاية السفر خلاصة كتبتها يد ثانية تضعه بين الحكماء .

هل يكون السفر مجرد عبارة متحسسة لفكر متشائم ، هذا ان لم يكن ، كما اعتقد الكثيرون ، خليطا من تاليف مختلفة الاصل ؟

يبدو انه استوحى مواضيع من اصل اغريقى ، مما يحمل على الاعتقاد بانه كتب حوالى السنة ١٨٠ ق م .]

ولماذا يبقى - هو الآخر - كسفر مقدس ؟ !



١٤ - نشيد الاناشيد

[كان انبياء اسرائيل ، كهوشع وارميا وحزقيال ، قد شبهوا علاقات الشعب المختار مع الله بعلاقات الزوجة بزوجها !

ومما لا ريب فيه ان دخول نشيد الاناشيد فى الاسفار المقدسة انما هو تجاوب مع هذه الصفات .

اما النصرانية ، وريثة اسفار العهد العتيق ، فقد اعتنقت هذا التقليد الى حد بعيد ، واصبحت الكنيسة عروس النشيد .

الا انه منذ القديم فكر بعضهم - مع توادوروس الموبسيوستى - بان النشيد ، فى الاصل اقله ، هو قصيدة ذات معنى علمانى ، قد نظمت لتتشد مثلا فى الاعراس .

وهذا التفسير يؤيده الكثيرون من الشراح العصريين ويمكن اعتناقه دون أن نضر بالمعنى الدينى الذى سمح بدخول وبقاء النشيد فى الكتاب المقدس .

لا يقرأ نشيد الاناشيد الا القليل من المؤمنين لانه لا يلائمهم [.
من حق الكثرة ، بل ومن حق الجميع ألا يقرأوا نشيد الاناشيد ،
فلا مكان له خارج نطاق نوعيات معينة من الأعراس . انه يتغزل فى جسد
المرأة ، ويصف لوعة الحب ويقول :
« فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى ، طلبته فما وجدته .
انى اقوم واطوف فى المدينة .. حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم
ارخه حتى ادخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى ..
قد خلعت ثوبى ، فكيف البسه .. حبيبى مد يده من الكوة ، فانت
عليه احشائى ..
ما أجمل رجليك بالنعلين .. دوائر فخذيك مثل الحلوى .. سرتك
كأس مدورة - لا يعوزها شراب ممزوج .
بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن .
ثدياك كخشتين توامى ظبية ..
قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد .
قلت انى اصعد الى النخلة ، وامسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد
الكرم .. وحنكك كأجود الخمر لحبيبى السائغة ، المرققة ، السائحة على
شفاه النائمين .
انا لحبيبى ، والى اشتياقه . تعال يا حبيبى لنخرج الى الحقل ،
ولنبت فى القرى .. هناك اعطيك حبى » .



١٥ - سفر الحكمة

(من الاسفار المحذوفة من نسخة البروتستانت)

هذا سفر نسبته المؤلف - زورا - الى سليمان الحكيم ، وهو سفر مجهول
المصدر والهوية . يقول التعريف بهذا السفر :

[ان كاتب الحكمة . . قد قرأ الكتاب المقدس ، وذكر منه نصوصا فى اليونانية حسب الترجمة السبعينية . ولهذا السبب فانتحاله شخص سليمان وتوجيهه الكلام بهذه الصفة الى الملوك ، هو نوع من الصورة الوهمية المقبولة آنذاك الى حد بعيد .
ان هوية المؤلف مجهولة ، انما الدلائل المتراكمة تشير الى ان وطنه كان مصر ، ومن المحتمل ان يكون الاسكندرية] .

✱

١٦ - سفر اشعيا

يعتبر هذا السفر كتابا بداه النبى اشعيا ، ثم اكمله مؤلفون آخرون لم تعرف شخصياتهم ، فبقى يحمل اسم اشعيا فقط .
يقول التعريف بهذا السفر :
[فى الواقع ان عددا متزايدا من الشراح الكاثوليك يعتبرون اليوم ان عمل اشعيا قد تابعه انبياء آخرون لهم ما له من الهمية ، لكنهم لم يخلفوا لنا اسماءهم] .

✱

١٧ - سفر ارميا

[جمعت اقوال ارميا النبوية بعد موته . لقد الف النبى قسما منه مباشرة ، فكان يملى على باروك ، كاتم سره الامين .
ويذكر باروك انه اضاف كثيرا من الاقوال المماثلة (٣٦ : ٣٢) .
اما ما جاء عن سيرة حياة ارميا فى الغائب ، فمصدره طبعا ذكريات التلاميذ . ثم جمعت كل هذه العناصر فى السفر تبعا لنظام منطقي بعض الشيء] .

✱

١٨ - نبوءة دانيال

[ليس دانيال مؤلف السفر الذى يحمل اسمه ، ان هو الا شخصه الرئيسى . . ان مؤلفا ملهما لم يترك لنا اسمه قد ضم الى هذه الصورة

الشهرة عن الماضى عدة رؤى ذات انشاء روائى . لقد كتب السفر فى ثلاث لغات : العبرية والارامية واليونانية .

وهذا يعنى ان المؤلف ادخل فى السفر عدة تقاليد سابقة . ويظهر ان السفر فى صيغته النهائية قد اكتمل اثناء اضطهاد انطيوخس ابيفان ، وقبل انتصار المكابيين فى الجيل الثانى قبل المسيح . وكان هدفه المباشر توطيد ايمان اليهود المضطهدين وتقوية رجائهم [.

*

نكتفى - الان - بهذا القدر من التعريف بأسفار العهد العتيق (القديم) ، كما جاء فى طبعة الكاثوليك . ويمكن تلخيص الخواص المشتركة بين هذه الاسفار بانها : كتب مؤلفة ، اغلبها مجهول المصدر والهوية . وقد توارثتها المسيحية هكذا ، مع تحفظها الصريح على وجود بعضها بين دفتى الكتاب المقدس ، لما فيها من تعارض مع الاخلاق المسيحية ، حسبما تقول .

العهد الجديد

يقول : المدخل الى العهد الجديد ، فى ترجمة العهد الجديد
الكاثوليك (١) :

[يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرا
مختلفة الحجم ، وضعت كلها باليونانية . ولم تجر العادة ان يطلق على
هذه المجموعة عبارة : العهد الجديد ، الا فى اواخر القرن الثانى .
فقد نالت الكتابات التى تؤلفه رويدا رويدا منزلة رفيعة حتى أصبح
لها من الشأن فى استعمالها ما لنصوص العهد القديم التى عدها المسيحيون
زمنًا طويلا كتابهم المقدس الاوحد ، وسموها الشريعة والأنبياء وفقا
للاصطلاح اليهودى فى تلك الايام .
ان تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها فى مجموعة واحدة
أديا الى تطوير طويل معقد . (فضلا عن ذلك فان تناقل هذه المؤلفات
منذ القديم حتى عهدنا هذا قد انطوى على بعض المخاطر التى لم تترك
النص دون تغييرات] (٢) .

* *

قانون العهد الجديد :

لقد سيطرت على المسيحيين الاوائل فكرة ، تناقلتها الألسن شفاهيا -
تعلن انتهاء هذا العالم سريعا ، وعودة المسيح ثانية الى الأرض ليعدين
الناس . وكان من بين نتائج هذا المعتقد ان توقف التفكير فى تأليف كتابات

(١) المرجع رقم ٤ فى قائمة تراجم الكتاب المقدس . ص ١ - ٥ .
(٢) « La rédaction de ces vingt - sept livres et leur
regroupement au sein d'un recueil unique donnèrent lieu à un
processus long et complexe. La transmission de ces ouvrages,
depuis l'antiquité jusqu' à nos jours , comportait, par ailleurs,
un certain nombre d'aléas qui n'ont pas laissé le texte sans
altérations » .

أغفل مترجمو هذا المدخل الى العربية فترة هامة ، وقد ترجمتها بين
توسمين .

مسيحية تسجل اخبار المسيح وتعاليمه . فتأخر لذلك تاليف الاناجيل ،
اذ لم يشرع فى تاليف أقدمها - وهو انجيل مرقس الذى لم يكن قط من
تلاميذ المسيح - الا بعد بضع عشرات من السنين .

لقد كانوا يؤمنون بنهاية العالم وعودة المسيح سريعا الى الأرض :
- قبل أن يكمل رسله التبشير فى مدن اسرائيل ، وهى عملية
لا تستغرق أكثر من عدة أشهر ، أو بضع سنين على أكثر تقدير :

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق امم
لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى
خراف بيت اسرائيل الضالة .»

الحق أقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان
(المسيح) - متى ١٠ : ٥ - ٢٣ » .

- وقبل أن يموت عدد من الذين وقفوا امامه يستمعون الى تعاليمه
ومواعظه . وهى فترة يمكن تقديرها دون خطأ يذكر فى حدود خمسين عاما
على أقصى تقدير :

« ان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبية مع ملائكته ، وحينئذ
يجازى كل واحد حسب عمله .»

الحق أقول لكم : ان من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا
ابن الانسان آتيا فى ملكوته - متى ١٦ : ٢٧ - ٢٨ » .

- وهو يعود ثانية الى الأرض قبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاصر
المسيح ، وهى فترة لا تتجاوز أقصى ما قدرناه ، أى خمسين عاما :

« وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على
انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ، وما هى علامة مجيئك وانقضاء
الدهر ؟ .»

فاجاب يسوع وقال لهم :

بعد ضيق تلك الأيام : تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ،
والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة
ابن الانسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون
ابن الانسان آتيا على سحب السماء بقوة ومجد كثير .»

الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله - متى

٢٤ : ٣ - ٢٤ » .

ومعلوم أن ذلك كله لم يحدث ، إذ لا يزال الكون قائما ، وبنو آدم يعيشون في عالمهم الدنيوى حتى يأتى أمر الله .

هذا - ولما بردت الحمية التى اثارتها فكرة عودة المسيح سريعا الى الأرض ، ظهرت الحاجة ماسة الى تدوين الذكريات عنه وعن تعاليمه . ومن هنا كانت النواة لتأليف أسفار - ما صار يعرف فيما بعد باسم - العهد الجديد ، وهى الأسفار التى لم يعترف بشرعيتها الا على مراحل ، وعلى امتداد أكثر من ثلاثة قرون .

*

يقول : المدخل الى العهد الجديد ، فى التعريف بقانونية العهد الجديد (٣) :

« ان كلمة قانون اليونانية ، مثل كلمة قاعدة العربية ، قابلة لمعنى مجازى يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للايمان .
وقد استعملت هنا للدلالة على جدول رسمى للأسفار التى تعدها الكنيسة ملزمة للحياة وللإيمان .

ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى فى الأدب المسيحى الا منذ القرن الرابع . كانت السلطة العليا فى أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الجيل الأول فى مرجعين :

أولهما العقد القديم ، وكان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزائه على وجه التقريب استشهداهم بوحى الله . وأما المرجع الآخر الذى نما نموا سريعا ، فقد أجمعوا على تسميته : الرب .

لكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة . وأما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل ، فقد تناقلتها السنة الحفاظ مدة طويلة . ولم يشعر المسيحيون الأولون الا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين أهم ما علمه الرسل ، وتولى حفظ ما كتبوه ..

(٣) المرجع السابق .

ويبدو أن المسيحيين ، حتى ما يقرب من السنة ١٥٠ ، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر الا قليلا جدا الى الشروع فى انشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة ، وأغلب الظن أنهم جمعوا فى بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها فى حياتهم الكنسية .

ولم تكن غايتهم قط ان يؤلفوا ملحقا باكتاب المقدس ، بل كانوا يدعون الاحداث توجههم . فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة ، فى حين ان التقليد الانجيلى كان لا يزال فى معظمه متناقلا على السنة الحفاظ . . ولا يظهر شان الاناجيل طوال هذه المدة ظهورا واضحا كما يظهر شان رسائل بولس .

أجل لم تخل مؤلفات الكتبة المسيحيين الاقدمين من شواهد مأخوذة من الاناجيل او تلمح اليها ، ولكنه يكاد أن يكون من العسير فى كل مرة الجزم : هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة ، أم هل اكتفوا باستذكار اجزاء من التقليد الشفهي .

ومهما يكن من امر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أى شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الانجيلية المكتوبة ، ولا يذكر أن لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم (٤) . فلم يظهر الا فى النصف الثانى من القرن الثانى شهادات ازدادت وضوحا على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الاناجيل وان لها صفة ما يلزم ، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجى .

« Pendant toute cette période, la position des (٤) évangiles n'apparaît pas aussi clairement que celle des épîtres de Paul. Certes, les oeuvres des anciens auteurs chrétiens ne manquent pas de citations des évangiles ou d'allusions à ceux-ci, mais il est presque toujours difficile de décider si les citations sont faites d'après des textes écrits que ces auteurs avaient sous les yeux ou s'ils se sont contentés d'évoquer de mémoire des fragments de la tradition orale.

Avant 140, il n'existe en tout cas aucun témoignage selon lequel on aurait connu une collection d'écrits évangéliques. Il est attaché à l'un état non plus d'un quelconque caractère normatif attaché à l'un de ces ouvrages » .

فيمكن القول ان الاناجيل الاربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام
الادب القانوني ، وان لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين (٥) .

لم يوضح (لم يستقر) الجدول التام للمؤلفات العائدة الى القانون
الا على نحو تدرجي ، وكلما تحقق شيء من الاتفاق (٦) . فهكذا يجدر
بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠ ، اذ حدد على نحو تدرجي ان
سفر اعمال الرسل مؤلف قانوني وقد حصل شيء من الاجماع على رسالة
يوحنا الاولى .

ولكن ما زال هناك شيء من التردد في بعض الامور : فالى جانب
مؤلفات فيها من الوضوح الباطني ما جعل الكنيسة تتقبلها تقبلها لما لا بد
منه ، هناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة يذكرها بعض الاباء ذكرهم
لاسفار قانونية ، في حين ان غيرهم ينظر اليها نظرتة الى مطالعة مفيدة (٧)
ذلك شأن : الرسالة الى العبرانيين ، ورسالة بطرس الثانية ، وكل من
رسالة يعقوب ويهوذا .

وهناك ايضا مؤلفات جرت العادة ان يستشهد بها في ذلك الوقت
على انها من الكتاب المقدس ، ومن ثم جزء من القانون ، لم تبق زمنا
على تلك الحال ، بل اخرجت آخر الامر من القانون (٨) . ذلك ما جرى
لمؤلف : هرماس ، وعنوانه الراعي ، ولليداكي ، ورسالة اكليمنضس
الاولى ، ورسالة برنابا ، ورؤيا بطرس .

« on peut considérer que les quatre évangiles ont, (٥)
vers 170. acquis le statut de la littérature canonique, même si le
mot n'a jamais été prononcé jusque - là » .

« La liste définitive des ouvrages appartenant au (٦)
canon ne s'établira que progressivement, à mesure qu'un accord
se réalisera à la faveur de la conscience grandissante de l'unité
de l'Eglise » .

« on rencontre un nombre important d'ouvrages (٧)
flottants, mentionnés comme canoniques par certains Pères mais
retenus seulement comme lecture utile par d'autres.. » .

« Parallèlement, des ouvrages qui sont à cette époque (٨)
couramment cités comme Ecriture Sainte, et donc comme faisant
partie du canon, ne se maintiendront pas longtemps dans cette
situation et se verront finalement expulsés du canon » .

وكانت الرسالة الى العبرانيين(٩) ، والرؤيا ، موضوع اشد المنازعات . وقد انكرت صحة نسبتها الى الرسل انكارا شديدا مدة طويلة (١٠) .

ولم تقبل من جهة أخرى الا ببطء : رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ، ورسالة بطرس الثانية ، ورسالة يهوذا .

ولا حاجة الى أن نتتبع تتبعاً مفصلاً جميع مراحل هذا التطور الذي ادى خلال القرن الرابع الى تأليف قانون هو فى مجمله القانون بعينه الذى نعرفه اليوم] .

* *

ويقول : المدخل الى الاناجيل الازائية (المتشابهة) ، فى ترجمة العهد الجديد للكاتوليك(١١) :

[ان القارئ فى عصرنا ، وهو حريص على الدقة ولا ينفك يبحث عن الاحداث التى تم اثباتها والتحقق منها ، يقع فى حيرة امام تلك المؤلفات التى تبدو له مفككة ، يخلو تصميمها من التنسيق ، ويستحيل التغلب على تناقضاتها ، ولا يمكنها أن ترد على الاسئلة التى تطرح عليها . قد جمع الانجيليون ودونوا ، وفقا لنظراتهم الخاصة ، ما اتاهم من التقاليد الشفوية] (١٢) .

*

(٩) الرسالة الى العبرانيين هى السفر الوحيد من أسفار العهد الجديد الذى لا يعرف له مؤلف حتى اليوم . ولذلك تكتفى نسخة البروتستانت بجعل عنوانه هكذا : الرسالة الى العبرانيين .

« Les cas les plus débattus furent ceux de l'épître (١٠.) aux Hébreux et de l'Apocalypse dont la canonicité fut vigoureusement niée pendant longtemps » .

(١١) المرجع السابق . ص ٢١ — ٣١ .

« Les évangélistes ont ainsi recueilli et mis par (١٢) écrit, selon leur perspective propre, ce qui leur était donné par les traditions orales » .

فهناك - مثلا - روايات مختلفة عن الحادث الواحد ، والذي قد يكون من أخطر الأحداث التي تروىها الاناجيل مثل : العشاء الأخير . وفي هذا يقول المدخل :

[لدينا أربع روايات (متى ، ومرقس ، ولوقا ، والرسالة الاولى الى اهل قورنثس) تعود عند التحقيق الى صيغتين : الصيغة التي يشهد عليها متى ومرقس من جهة ، والصيغة التي وردت في لوقا وبولس من جهة أخرى .

والحال ان هاتين الصيغتين ، وهما تختلفان في عدة أمور ، تبدوان كلاهما وكأنهما نصوص تنقل عبارات تقليدية ثبتها الاستعمال الطقسي . ان مضمون الاناجيل لا يمكن ان يحقق كله تحقيقا تاريخيا] .



ومن الواضح الآن ان كتبة الاناجيل لهم الدور الأكبر في هذا الاختلاف :

[يجمع النقاد على بعض الأمور ، اولها اصل الاناجيل .

فهناك عاملان كان لهما تأثير في حالة النصوص كما هي الآن هما : عمل الجماعة التي كونت التقليد الشفهي والخطي ، وعمل الكاتب الذي نسق مختلف التقاليد .

فهل من الممكن ان نفسر جميع الاختلافات بالرجوع الى نشاط الكاتب في تحريره ، أم لا بد من اللجوء الى صلات قامت في وقت سبق عهد الاناجيل الازائية ؟

ان معظم النقاد مقتنعون بمبدأ المصدرين . يقول أصحاب هذا الرأي ان لمتى ولوقا علاقة مباشرة بمرقس وبمصدر مشترك مستقل عن متى .

فلكل انجيل تقاليد خاصة به ، لكن مرقس وتلك الوثيقة هما المصدران الرئيسيان لمتى ولوقا] .



انجيل متى :

ل انطلق متى من مراجع يشترك فيها مع مرقس او مع لوقا ، ولكن روايته على ما فيها من الائتلاف على العموم ، تختلف كل الاختلاف عن رواية مرقس ، سواء بعدد المواد الخاصة به وسعتها (مثل ذلك : ١ - ٢ و ٥ - ٧ و ١١/١ - ٣٠ و ٣٦ - ٥٢ و ١٠/١١ - ٣٥ و ٩/٢٨ - ٢٠) ، ام بالحرية التي يستعمل بها المواد التي يشترك فيها مع مرقس (قارن على سبيل المثال بين متى ١/٤ - ١١ و مرقس ١٢/١ - ١٣ ، وبين متى ٢٣/٨ - ٢٧ و مرقس ٣٥/٤ - ٤١ ، وبين متى ٩/٩ - ١٣ و مرقس ١٣/٢ - ١٧ ، وبين متى ١٣/١٤ - ٢١ و مرقس ٣٢/٦ - ٤٤ ، وبين متى ١٣/١٦ - ٢٠ و مرقس ٢٧/٨ - ٣٠ ، وبين متى ١٨/٢١ - ١٩ و مرقس ١٢/١١ - ١٤ ، وبين متى ٣٣/٢١ - ٤٦ و مرقس ١/١٢ - ١٢ ، وبين متى ١/٢٤ - ٣٦ و مرقس ١/١٣ - ٣٧) ، ام آخر الامر بمجموع من المواد لا يستبعد انه اخذها عن مجموعة اقوال ليسوع استعملها لوقا (مثل ٧/٣ - ١٠ ، ١١/٧ ، ١٠٠) .

ومن العسير جدا ان نوضح الى اى قدر كانت قد وصلت تلك المراجع فى صياغتها فى مجموعات اوسع .

متى مولع بالمجموعات العددية (مثل ذلك تفضيله للارقام ٧ ، ٣ ، ٢) . ويؤلف خطبا ، ليضيف عليها طابع الاستيعاب (مثل ١٧/١٠ - ٤٢ و ٣٥/١٣ - ٥٣ و ٢٥) . والتلاميذ عند متى ليسوا بطيئى الفهم ، خلافا لما جاء فى مرقس .

ان الرسول متى هو الذى كتب الانجيل الاول ، وهذا ما يعتقده ايضا كثير من اهل عصرنا ، وان كان النقد الحديث اشد انتباها الى تعقد المشكلة . الكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الانجيل الاول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠ وربما قبلها بقليل . ولا يمكن الوصول الى يقين تام فى هذا الامر .

اما المؤلف فالانجيل لا يذكر عنه شيئا . فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة ، يحسن بنا ان نكتفى ببعض الملامح المرسومة فى الانجيل نفسه [.



انجيل مرقس (١٣) :

[منذ نحو السنة ١٥٠ اثبت بابيلاس ، مطران هيرابولس ، نسبة الانجيل الثانى لمرقس - لسان حال - بطرس فى رومة .
ويكاد ان يكون اجماع النقاد على ان الكتاب الف فى رومة بعد اضطهاد نيرون السنة ٦٤ .

اما صلة الكتاب بتعليم بطرس فهى امر عسير التحديد . ان عبارة بابيلاس : لسان حال بطرس - غير واضحة .
ان مسألة مراجع مرقس تبقى هى هى بأسرها اذا . فالنقاد يتخللون على وجه يختلفون فيه على قدر ما يجعلون لمرقس من شأن ، عندما يقارنونه بمتى ولوقا . فيرى بعضهم انه الاصل الذى استندا اليه ، ويرى غيرهم ان هناك ، قبل مرقس ، مجملا أولا فيه تقليد على يسوع . ومهما يكن من امر فانه يستشف من تاليف انجيل مرقس ان هناك مرحلة سابقة للتقليد كان الناس يتناقلون فيها اعمال يسوع واقواله بمعزل عن اى عرض شامل لحياته او لتعليمه .

وهناك سؤال لم يلق جوابا : كيف كانت خاتمة الكتاب ؟

من المسلم به على العموم ان الخاتمة كما هى الآن (٩/١٦ - ٢٠)
قد اضيفت لتخفيف ما فى نهاية كتاب من توقف فجائى فى الآية ٨ (١٤) .
ولكننا لن نعرف ابدا هل فقدت خاتمة الكتاب الاصلية ، ام هل رأى مرقس ان الاشارة الى تقليد التراثيات فى الجليل فى الآية لا تكفى لاختتام روايته .

(١٣) المرجع السابق . ص ١٥٣ - ١٥٤ .

« Autre question qui n'a pas reçu sa réponse : (١٤)

Comment le livre se terminait - il ?

Il est généralement admis que la finale actuelle 16, 9 - 20 a été ajoutée pour corriger l'abrupt d'un fin de livre au v. 8 (cf. 16, 9 note O).

(Note. O : La tradition manuscrite est très incertaine pour cette finale de l'évangile (vv. 9 - 20). Elle n'est pas attestée par un certain nombre de témoins . Quelques copistes ont même précisé que le v. 8 marquait la fin de l'évangile..) » .

اهمية الكتاب : كتاب مرقس هو فى نظرننا اول نموذج معروف للفن الادبى المسمى انجيلا . كثيرا ما فضلت عليه المجموعات اللاحقة والاوسع التى انشأها متى ولوقا .

ان النقاد تخلوا اليوم عن وضع سيرة ليسوع معتمدين على فقرات مرقس وحدها ، ومع ذلك ففى خشونته وعفويته ووفرة عباراته السامية وطابعه البدائى فى التفكير اللاهوتى ، دليل على قدم المواد التى استعملها [.

* *

انجيل لوقا (١٥) :

[انجيل لوقا هو الانجيل الوحيد الذى له فاتحة مثل كثير من المؤلفات اليونانية فى تلك الايام . وهذه الفاتحة موجهة الى رجل اسمه ثاوفيلس يبدو انه امرؤ ذو شأن .

ولكتاب اعمال الرسل ايضا فاتحة موجهة الى ذلك الرجل نفسه ، فاستنتج منذ ايام الكنيسة القديمة ان للانجيل واعمال الرسل مؤلفا واحدا . عمل لوقا الادبى : استعمل لوقا فى انجيله كثيرا من المواد المشتركة بينه وبين متى ومرقس ، ولكنه استعمل ايضا كثيرا من المواد التى انفرد بها .

وقد قام لوقا بجهد كبير فى معالجته للمواد التى تلقاها من التقليد . بعض الشواهد على اصل الانجيل الثالث: ان النقاد كثيرا ما يعتمدون ، فى تحديد زمن تأليف هذا الكتاب ، على المكان الذى يحتله لخراب اورشليم وعلى كيفية انفصال ذلك الحدث عن النظرة الاخروية التى يربطه بها متى ومرقس .

يبدو ان لوقا قد عاصر حصار المدينة وخرابها وعرف كيف قامت بها جيوش طيطس سنة ٧٠ (راجع ٤٣/١٩ - ٤٤ ، ٢٠/٢١ ، ٢٤) ، فيكون الانجيل لاحقا لهذا التاريخ .

فالنقاد غالبا ما يحددون تأليفه بين السنة ٨٠ ، ٩٠ ، ومنهم من يجعلون له تاريخا اقدم .

(١٥) المرجع السابق . ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

هناك تقليد يقول ان كاتب الانجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذى ذكره بولس (فى رسائله) . وقد وجد الكثيرون دليلا على مهنة كاتب الانجيل الثالث الطبية فى دقة وصفه للأمراض ، ولكن هذا الدليل ليس قاطعا . فلا بد للبت فى هذا الموضوع من البحث فى شواهد كتاب أعمال الرسل] .

* *

انجيل يوحنا (١٦) :

[ليس من اليسير ان نستخلص بكثير من التفصيل ذلك التصميم الذى رسمه المؤلف ، ان اكثر الاحداث هى واضحة المعالم ، ولكننا لا نرى بجلاء ما هى القواعد التى بموجبها رتبت تلك الاحداث .

وما يزيد الامر حرجا هو ان هناك من يرون ان بعض الاقسام نقلت من مكان الى آخر ، وان ذلك الراى سؤال ما يزال قائما .

فقد يبدو من المستحسن ان ننقل الفصل الخامس ، على سبيل المثال ، الى ما بين ١٥/٧ ، ١٦/٧ ، ففى ذلك توحيد لترتيب المواد الجغرافى . .

اما نحن فنكتفى بأن نرى فى الانجيل الرابع سلسلة أحداث لم ترتب ترتيبا دقيقا .

علاقته بالاناجيل الازائية : اول ما يلفت انظارنا هى الفوارق الجغرافية والزمنية . فبينما توحى الاناجيل الازائية بمدة طويلة فى الجليل تليها مسيرة الى اليهودية ، قد يزيد طولها وينقص ، وتنتهى باقامة قصيرة فى اورشليم ، يروى يوحنا خلافا لذلك . .

وهو يذكر عدة احتفالات بالفصح (١٣/٢ ، ١/٥ ، ٤/٦ ، ٥٥/١١) فيلمح الى رسالة تتجاوز مدتها السنتين .

البيئة الفكرية : ان تنوع الصلات التى اشار اليها العلماء لشديد جدا . فاول ما اعترفوا به هو تاثير الثقافة اليونانية ، بل اكتشفوا بعض العلامات بالتيارات الغنوصية .

لا شك أن في انجيل يوحنا وجوه شبه بالفكر اليونانى أكثر مما فى الاناجيل الازائية . فالاهتمام الظاهر بكل ما يمت بصلة الى المعرفة والحق ، واستعمال لفظ لوغس ، واستعمال التمثيل خاصة ، كل ذلك من شأنه أن يوجه الدراسات التى تلك الجهة .

المؤلف : لا بد من الاضافة أن العمل يبدو مع كل ذلك ناقصا ، فبعض اللحامات غير محكمة ، وتبدو بعض الفقرات غير متصلة بسياق الكلام (١٣/٣ - ٢١ ، ٣١ - ٣٦ ، و ١٥/١) .

يجرى كل شيء وكان المؤلف لم يشعر قط بأنه وصل الى النهاية وفى ذلك تعليل لما فى الفقرات من قلة ترتيب .

فمن الأرجح أن الانجيل ، كما هو بين أيدينا ، أصدره بعض تلاميذ المؤلف ، فاضافوا عليه الفصل ٢١ (الأخير) . ولا شك أنهم اضافوا ايضا بعض التعليقات (مثل ٢/٤ و ٤٤/٤ ، ٣٩/٧ ، ٢/١١ ، ٣٥/١٩) . أما رواية المرأة الزانية (٥٣/٧ - ١١/٨) فهناك اجماع على أنها من مرجع مجهول ، فادخلت فى زمن لاحق .

أما المؤلف وتاريخ وضع الانجيل الرابع ، فلسنا نجد فى المؤلف أى دليل واضح عليهما .

ليس لنا أن نستبعد استبعادا مطلقا الافتراض القائل بأن يوحنا الرسول هو الذى أنشأه . ولكن معظم النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال . فبعضهم يتركون تسمية المؤلف فيصفونه بأنه مسيحى كتب باليونانية فى أواخر القرن الأول فى كنيسة من كنائس آسيا حيث كانت تتلاطم التيارات الفكرية بين العالم اليهودى والشرق الذى اعتنق الحضارة اليونانية .

وبعضهم يذكرون بيوحنا القديم (غير ابن زبدي أحد الاثنى عشر) الذى تكلم عليه بابيلاس (فى قوله) : لن اتردد أن اضع بين التفسيرات تلك الأمور التى تعلمتها تعليما حسنا جدا ذات يوم عن الاقدمين ، فحفظتها حفظا حسنا جدا فى ذاكرتى ، بعد أن تحققت صحتها .. وان وصل احد كان من تابعة الاقدمين ، كنت استعلم منه عن اقوال الاقدمين : ما قاله اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى ، أو غيرهم من تلاميذ الرب ، أو ما يقوله ارستيون ويوحنا القديم ، تلميذان للرب . (اوسابيوس ، تاريخ الكنيسة : ٣ ، ٣٩/٣ - ٤) .

فكانوا اذن يميزون بين يوحنا الرسول واحد الاثنى عشر ، من يوحنا آخر ، القديم تلميذ الرب .

وبعضهم يضيفون ان المؤلف كان على اتصال بتقليد يرتبط بيوحنا الرسول . فلا عجب ان يكون - للتلميذ الذي احبه يسوع - تلك المكانة السامية ، فوحد بينه وبين يوحنا بن زبدي .

ومن الغريب ان يوحنا هو الرسول الكبير الوحيد الذى لم يرد اسمه قط فى الانجيل الرابع] .

* *

اعمال الرسل (١٧) :

[من اراد ان يطالع مؤلفا قديما ، وجب عليه ان يثبت نضه .
والحال ان اثبات نص اعمال الرسل مسألة معقدة .

الناحية الأدبية فى اعمال الرسل : لا شك ان واضع سفر اعمال الرسل قد استعمل بعض المراجع ، فالأدلة على ذلك كثيرة .
ولكن هل كانت هذه المراجع مراجع مخطوطة أم شفوية ؟ لربما كانتا من كلا النوعين .

انه من العسير لسوء الحظ ان نعزل تلك المراجع ونحددها على وجه اكيد، حتى فى أمر يوميات السفر التى تدل فيها صيغة (نحن) على وجود تلك المراجع ، من دون ان تمكنا من رسم حدودها بدقة .

واخيرا فاذا كان صاحب يوميات السفر ومؤلف سفر اعمال الرسل رجلا واحدا ، فقد كان له ، وهو رفيق بولس ، ذكريات خاصة به .

التاريخ : قد يكتشف هذا النقد ، هنا أو هناك ، بعض آثار التناثر أو التوتر فى الروايات ، ويبدو انها صادرة ، اما عن ارتياب أو نقص فى ما لدى المؤلف من الأخبار ، واما عن قصد حمله على تحوير أو تفسير الأخبار التى حصل عليها من المراجع .

ومعقولية الروايات تشكل مقياسا آخر ، ولكنه خطير الاستعمال ،
لأن الاعتبارات التي يأخذ بها ليست كلها من النوع التاريخي . فاصعب
المسائل هي مسألة الخوارق ولا سيما روايات المعجزات (١٨) .

أجل ، أنه من الممكن ، لا بل من الأرجح ، حيناً بعد آخر ، أن المؤلف
أو مراجعه قد بالغت في هذا الجانب من رواية بعض الأحداث .
ولكن يجب على النقد ألا ينسى أن المعجزات كانت ذات شأن هام في
المسيحية القديمة .

أن تاريخية الخطب في سفر أعمال الرسل تطرح مسائل أشد تعقداً
من الأقسام الروائية : فلا يخفى على أحد أن المؤلفين القدماء كانوا يعدون
أمراً طبيعياً أن يؤلفوا ، بكثير أو قليل من التصرف ، ما يجعلون من
الخطب على السنة الأشخاص الذين يتكلمون عنهم .

هناك أمور غير معقولة أو وجوه شبه في اللغة والتفكير بين الخطب
والروايات ، تدل على تدخل المؤلف في انشاء الخطب . لكن هذه
الملاحظات لا تجيز لنا أن ننكر عليها كل قيمة وثائقية . والتقدير الصحيح
لقيماتها التاريخية متوقف الى حد بعيد على الثقة المولاة لأخبار المؤلف
ولا سيما ليوميات السفر .

المؤلف وتاريخ التأليف : أن مؤلف سفر أعمال الرسل هو مؤلف
الانجيل الثالث . هذا أمر اقتنع به التقليد طوال القرون . يضاف الى ذلك
أن المقارنة بين فاتحتي الكتابين تقتضي هذه الوحدة . فالكتابان مرفوعان
الى ثاوفيلس .

« Cette critique peut enregistrer, ici ou là, des (١٨)
discordances ou des tensions dans les récits, qui semblent bien
correspondre soit à des incertitudes ou à des lacunes dans les
informations de l'auteur, soit à des intentions qui l'ont amené à
modifier ou à interpréter les données que lui fournissaient les
sources . La vraisemblance des récits constitue un autre critère,
mais celui-ci est d'utilisation délicate, car les considérations
qu'il met en jeu ne sont pas toutes d'ordre historique . Le cas le
plus difficile est ici celui du merveilleux et en particulier des
récits de miracle. » .

ولكن : من هو المؤلف ؟

أن وجود الأجزاء بصيغة (نحن) يوحي بأن المؤلف كان منتميا الى بيئة بولس . فيكون لوقا الطبيب الحبيب (قول ١٤/٤ ، ف ٢٤) المرشح الممكن الوحيد .

ولكن هناك امورا لا بد من النظر فيها . فالتوافق بين افكار سفر اعمال الرسل وافكار بولس في رسائله يبقى ، على اقل تقدير ، غير اكيد في شئون بعضها مهم . كمعنى الرسالة على سبيل المثال (١٣ / ٣١) ومكانة الشريعة .

ولكن هل يستنتج من ذلك أنه لا يمكن أن يكون مؤلف الانجيل الثالث وسفر اعمال الرسل رفيقا لبولس ، وإن اقتراح اسم لوقا مستبعد تماما ؟ اقل ما يقال ان هذا الامر قابل للبحث .

ولما كان نقاد عصرنا يحددون تاريخ تأليف الانجيل الثالث فيما بعد السنة ٧٠ ، فهم يحددون تاريخ تأليف اعمال الرسل في نحو السنة ٨٠ ، في وقت ينقص أو يزيد عشر سنوات] .

وبعد . . .

ان هذا العرض الموجز للتعريف بأسفار الكتاب المقدس ، حسبما سطره الثقة من علمائه ، لكفيل بأن يعلم كل قارئ واع بحقيقة ما بين يديه .
